الاستراتيجية وبرامج الاستيطان والهجرة الصهيونية ولتسهيل عمليات الكشف والايقاع بحركة المقاومة المسلحة وعناصرها الفعالة .

اما مخطط الاغراء الاقتصادي والاشباع المالي لفئات التجار والمستثمرين (منح القروض والديون السهلة) فانها وان كانت تبدو ظاهريا نوعا من التسهيلات المالية لبعض المجالات الاقتصادية (مثل الاستيراد عن طريق اسرائيل او تسويق البضائع الاسرائيلية) فانها عند التمعن في دوافعهـا ونتائجها لا يمكـن تفسيرها خارج اطار برنامج دمج الحياة الاقتصادية العربية في المناطق المحتلة في المؤسسات الاسرائيلية القائمة تمهيدا للهيمنة كليا على جميع فروع الانتاج والتسويق والخدمات في تلك المناطق — وان اي تفسير متسرع لهذه الامور خارج هذا الاطار مرفوض كليا سواء كان مبنيا على نظرية « الاستعمـار الاصلاحي » او نظرية « الرفاهية قبل الحرية » .

اما مسألة العمال وارتفاع دخولهم فيكفي للدلالة على رفض قبول مثل هذه المسألة لتبرير ادعـاء « ديموقراطية اسرائيل » الاشارة الى ان نسبة العمال بين المقاتلين والمنتظمين في حركة المقاومة تتعدى الـ ٥٠ ٪ ونسبتهم بين الذين يقبعون في سجون اسرائيل والمناطق المحتلة لا تقل عن ذلك .

في هذا الفصل الاخير يتطرق ابو شلبايه الى النظام الاجتماعي والاقتصادي للدولـة المقترحة فيرفض الاشتراكية ويقدم فيها آراء غريبة مثل قوله انها لا تعني سوى « زيادة الفقر والبطـالة والتشرد » وطالما ان الشعب الفلسطيني في رأي الكاتب ابو شلبايه يرفض الاشتراكية فان « مسؤولية كبرى تلقى على عاتق واشنطن تجاه الشعب الفلسطيني » (ص ٨٣) . وعليه فالكاتب يطالب الولايات المتحدة تقديم العون والمساعدة والحماية للدولة الفلسطينية مذكرا اياها بمبادىء واشنطن ولنكولن .

وينهي الكاتب كتابه هـذا بتفاؤل مفاجىء ويطمن الدول العربية بأن الدولة الفلسطينية التي يدعو لها ستصبح في المستقبل جزءا من جمهورية عربية كبرى تضم بين دولها اسرائيل ايضا .

كلمة اخيرة لا بد منها قبل ختام هذا الرد الاولي على كتاب ابو شلبايـه « لا سلام بدون دولـة فلسطينية حرة » — كان من الاسهل علينا قبل البدء في عرض رأينا في الكتاب ومحتويات فصوله الخمسة ان نعتبره غير ذي قيمة ولا يستحق المناقشة وعليه فالافضل اهماله ولكننا ، كما بينا في مطلع البحث ، لا نعتبر الكتاب اكثر من نموذج للاطلاع على نوع من التفكير المنتشر ليس فقط لدى اشخاص في المناطق المحتلة . فهذا النوع من التفكير وان كان يعبر عن نفسه بكثير من الحذر والمداراة والهمس داخـل وخارج المناطق المحتلة الا انه يتخذ بين فترة واخرى شكل قفـزات فكرية مفاجئـة ترافق التحركات السياسية لجماعة فكرة دولة فلسطينية في الضفة الغربية او فكرة اتحاد فيدرالـي بين اسرائيل والضفة الغربية والضفة الشرقية . ولان مثل هذه المشاريع ، سواء جاء الاعلان عنها في مقالات او كتب او اتصالات سياسية ، تشكل جزءا خطيرا من حملة اجهاض حركة رفض الاحتلال في المناطق المحتلة فان التصدي لها وافراغها من اي وزن سياسي فلسطيني يتطلب اولا معرفتها بالضبط ومن ثم معرفة مصدرها والمحيط الاجتماعي والاقتصادي الذي تنتج عنه . وهذه الافكار التي وردت في الكتاب المذكور في حالة اعتبارها تمثل اتجاها فكريا ناتجا عن صدمة الهزيمة واستمرار الاحتلال يأتي خطرها ليس فقط لمجرد وجود فئـات لا زالت تستطيع التصريح والاعلام عنها ولكن في خطر تحويلها الى هدف سياسي لتجمع سياسي محلي في الضفة الغربية وقطاع غزة ومطالبة المقاومة بتبنيها (ص ٦٩) .

اما ما يقدمه الكتاب لتوضيح الهوة الفكرية التي تفصل بين فكر المقاومة وفكر بعض قطاعات المثقفين في الضفة الغربية فيمكن تلخيصه بالنقاط التالية :

اولا : لقد اعتمدت المقاومة ومنظماتها اعتمادا نسبيا على الاعلان عن العمليات العسكرية ولم تستطع لغاية الان ربط الشعب الفلسطيني في الداخل (سياسيا) بتنظيماتها القائمة وهذا يعود بالدرجة الاولى الى عدم وجـود تنظيم سياسي جماهيري للمقاومة في داخل المناطق المحتلة وبالدرجة الثانية على انعدام أدب واعلام المقاومة الشعبية في فلسطين والاردن قبل عام ١٩٦٧ أصلا واشتراك جميع الاجهزة الاعلامية العربية آنذاك في شطب موضوع المقاومة المسلحة والدفاع المدني والمناعة الفكرية ضد افكار العدو مـن برامجها والاكتفاء بالتنديد بالصهيونية واستنكار اسرائيل والتحدث عن عدو لا نعرف عنه سوى انه استولى على جزء من فلسطين عام ١٩٤٨ ، اما مقاومة هذا العدو ومواجهته سياسيا واقتصاديا وعسكريا فلم يكن لها وجود في أعلام الخلاص الذي سينزل من السماء.